

الفصل الثاني

التربية والثقافة الاغريقية

مدخل :

على دارس تاريخ التربية ألا يدهش للوفرة في المادة العلمية التي يجدها عن حياة اليونان القدماء وفلسفتهم وتربيتهم ، فالكتب الغربية التي تناولت التربية وتطورها بالبحث والشرح والتعليم ، أبت ألا أن تعطى الاغريق نصيب الأسد ، وقد يقول بعضهم ان وفرة ما عندهم من مصادر عن هذه الفترة في حياة البشرية مع ازدهار للحياة الفكرية في المدن الاغريقية تحتم عليهم أن يفرّدوا لها مكان الصدارة ، على أن بعض الدارسين يرون في هذا تحيزا من غربي لغربي ، ويهتفون صائحين بأن ييمم مؤرخو التربية وجوهم شطر الشرق ، وسوف يجدون فيه الكثير من الفكر الذي يستحق كل عناية في وقت سبق فيه الشرق الاغريق بأكثر من عشرين قرنا .

وتقع اليونان على حافة العالم الغربي متوسطة الشرق والغرب ، ولم تتقابل حضارتا الشرق والغرب على أرض اليونان القديمة فحسب ، بل ان هذه الأرض ذاتها فجرت ينابيع من الحكمة والفلسفة سالت على الشرق ثم أغرقت الغرب اغراقا ما عاد بعده بمستطيع أن يقبل مزيدا من التراث الفكري الذي خلفه الشرق ، وتمر قرون طويلة قبل أن يتطلع الغرب حواليه ثم يمد عنقه الى الشرق الغامض يتأمل - في حذر شديد - في أديانه وتعاليمه ونظراته للحياة الدنيا والآخرة .

واليونان شبه جزيرة تمد أصابعها وجزرها في البحر المتوسط بمناخه المعتدل الداعي الى حرية الحركة . وليس شبه الجزيرة سهلا يرمح فيه الانسان والحيوان كيفما شاء ، بل جبالا ووهادا تتطلب مشقة وعملا وجهدا جسيما . وعلى أرض شبه الجزيرة تنأثرت دول أطلق على كل منها « مدينة دولة » City State ولكل منها نظامها وقوانينها وتشريعاتها وأطامعها ...

ولم تعرف اليونان القديمة وحدة ، واختلفت بين مدنها الأنظمة الحكومية ، بين ديمقراطية واستبدادية ممعنة في جبروتها .

وتمثل أسبرطة وآثينا نوعين متمايزين من الثقافة الاغريقية ، ويتخذهما المؤرخون والمربون نموذجين للحياة والتربية الاغريقية ومن هنا كان ضروريا أن نقف على فلسفة ونظام التعليم في كل منهما :

اسبرطة^(١) :

كان الغازي اذا أخضع مدينة لسيطرته أصبح السيد الحر . أما الذين حلت عليهم الهزيمة فهم عبيد ياتمرون بأوامر الأحرار . والحر هو من يفكر لنفسه والتمتع بالحقوق السياسية وصاحب الأنشطة الرفيعة . وهو الذي يتعلم ويحذق الفن والشعر والموسيقى والأدب . وقد غزا الاسبرطيون لا كونيا واستقروا في كبرى مدنها (اسبرطة) متسيدين على البيروكي والهيلوت السكان الأصليين . وبيروكي تعني « السكان المتجولين في الأنحاء المجاورة » ، وهذا كان حالهم ، فقد تناثروا على مشارف اسبرطة في مدن صغيرة بلغت حوالى مائة مدينة ، وكانوا أرقى من الهيلوت Helots وهم العبيد فقد تمتعوا ببعض الحقوق المدنية والسياسية وكونوا الطبقة المتوسطة التي بلغ عدد أفرادها حوالى ١٣٠.٠٠٠ في حين كان العبيد الهيلوت حوالى ٤٥٠.٠٠٠ ، أما الاسبرطيون السادة فكان عددهم حوالى ٤٥.٠٠٠ سيدا^(٢) ، وكانت مهمة العبيد خدمة أسيادهم ، أما البيروكي ومنهم ملاك وتجار وصناع ، فكان عليهم دفع ضرائب باهظة ، للاسبرطيين السادة^(٣) .

وكانت سياسة أسبرطة تقوم على التفوق العسكرى لتظل للسادة السيادة على بقية السكان . ولهذا تكون نظامهم التربوى بهذه الفلسفة^(٤) . ويرجع أن نظام التربية الاسبرطية يرجع الى المشرع ليكرجس في حوالى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد . وكان هدفها اعداد الفرد لسكانه في

(١) لشرح أوفى في التربية ، اليونانية ، والرومانية - انظر كتاب « التربية عند اليونان والرومان » للأستاذة فتحية حسن سليمان .

Mulhern, op cit., p. 135.

(٢)

McCormick, op cit., p. 89.

(٣)

(٤) منرو ، بول (ترجمة صالح عبد العزيز) : المرجع في تاريخ التربية ، جزء أول ،

الدولة : فالولد يعد ليكون ذا كمال جسمي شجاعا متحملا بعبادات الطاعة العمياء للقانون . وحتى يكون الجندي الذي لا يهزم ، متقشفا وضابطا لشهواته مخاطرا ومتحمدا للمشقات ، أما المرأة الاسبرطية فكانت تربي لتتصف بالترفع والنشاط في الحياة .

وكانت الدولة تمتلك الطفل منذ لحظة مولده ، وهي التي تحدد ما اذا كان هذا الطفل يستحق الحياة أو الموت . ويحدد هذا القدر مجلس من المسنين ، فاذا أنسوا في الطفل ضعفا أو هزالا تركوه في العراء ثم يعودون اليه بعد فترة ، فاذا كان قد تحمل الجوع والجو سمحوا له بالحياة ، والا فخير لهم أن يموت فلا ينمو مواطنوا ضعيفا .

ويسمح للطفل بالبقاء تحت رعاية الأم في البيت لمدة سبع سنوات ، ثم يرسل كل الأطفال الى مؤسسات تديرها الدولة حيث يتولى أمرهم مرب Paedonomos يعاونه بعض المساعدين . ويصبح الطفل عضوا في أسرة أكبر هي الدولة . حيث يعيش مع غيره من الأطفال في ظل نظام قاس . ويأكل الأطفال معا ويلبسون ملابس متشابهة ، وينامون في معسكرات يغلب عليها طابع التقشف . . . وكل شيء مشاع بينهم ، فكل شيء ملك الدولة ، ولم يسمح لهم الا بارتداء القليل مما يستر الجسم ، وبالتغذي بالضروري . ويقسم الأطفال الى مجموعات ، تتكون كل مجموعة من أربعة وستين طفلا ، وعلى رأسهم Eiren ولد اختير لشجاعته وحسن تصرفه .

وكانت حياة الاسبرطي تدريبا مستمرا للحرب ، فكان الواحد منهم ينام في المعسكرات حتى يبلغ سن الثلاثين ، ويأكل في الميس العظام حتى يبلغ سن الستين ، وكان لا يسمح للفرد الا بقدر قليل من المال والحاجات العينية ، مما يحتاجه لبعض الضروريات . واذا كانت الدولة قد منحت كل اسبرطي حر قطعة من الأرض يزرعها ويفلحها له العبيد ، فانها تطلبت منه أن يدفع لها مبلغا في الشهر ، واذا فشل فرد في تقديم ما يطلب منه طرد من الميس وحرّم من المواطنة .

ولم تسنح للطفل الاسبرطي فرص للتدريب العقلي ، فقد غطت التربية العسكرية الجوانب الأدبية في مناهج التعليم ، بل لم يتعلم القراءة ولا الكتابة في مدارس الدولة الا على أيدي مدرسين خصوصيين ، أما أشعار هومر والأغاني الوطنية فقد اهتم المسؤولون بها على أساس أنها تدعو الى الحماس وتوقظ الهمم أكثر من كونها مادة للتقدير الأدبي والفني .

على أن الجانب الأكبر من التربية الاسبرطية كان مكرسا للتدريبات العسكرية والتربية الرياضية ، فكان الأولاد يمتطون ظهور الجياد ويمارسون السباحة يوميا ويقضون وقتا طويلا في التمرينات التي تقوى العضلات وتبنى أجساما مرنة وقوية . وكان الخمسة الكبار Ephors يزورون معاهد التعليم بصورة دورية للتفتيش على الدراسة والتدريب . ويجلس الواحد منهم يراقب عن كثب كيف يؤدب المعلم تلاميذه وكيف يجادلهم ويعاقبهم حتى اذا فرغ الدرس ولم يرض الزائر عن تهاون المعلم في عقابه تولى هو معاينة المؤدب أو المعلم .

والقسوة والعنف كانا شعار التربية ، فالصبية يجرون ويقفزون ويتلاكمون ويتصارعون ، ثم قليل من الرقص والموسيقى . ثم سباحة وتحمل مشاق وتخطى عقبات ، ففي بعض المناسبات كان الأولاد والشبان يضربون ضربا مبرحا أمام مذابح الالهة ارتيميس . ويسمح في المصارعة والملاكمة بأى أسلوب يمكن للفرد من التغلب على خصمه كقطع جزء من جسمه أو احداث عاهة .

ومع هذه الشدة كانت هناك تربية خلقية تلازم هذه التمرينات ، ولعل أهمها تقديس وطاعة الرؤساء ، أما الأمانة والصدق فلهما معايير قد لا نرتضيها اليوم . والتواضع مطلوب ، فالصبية يمشون في الطرقات وأيديهم تمسك بأطراف العباءة وعيونهم مطرقة الى الأرض ، ولكن لا بأس من الكذب على غير الاسبرطيين ولا بأس من السرقة ، وعلى السارق ألا يضبط والا أصابه الجلد والامتهان بتهمة الاهمال وعدم الحرص والفشل ، فالسرقة والتلصص تدريبان على أعمال الحرب . وكل تدريب يؤدي الى نصر في الحرب فمرحبا به عند الاسبرطيين . وشرب الخمر الى الثمالة مردول .

وخضع الاسبرطى للعقوبات البدنية حتى يدخل الباب ملتحقا بفرقة الافيبي Ephebi أى الطالب الحربى بعد سن الثامنة عشرة ، حيث كان يتلقى تدريبات عسكرية متقدمة ، كما كان يعمل معلما للأطفال ومشرفا عليهم حتى اذا ما كبر وأصبح بفرقة الافيبي كان مؤهلا لتلقى أعنف التدريبات العسكرية ، ثم ينتقل الى دراسة أكبر بعد اجتياز عدة امتحانات عسيرة شاقة . ويبقى فى فرقة المليرينس Milleréns عشر سنوات ، يصبح بعدها فى سن الثلاثين ، أى رجلا مكتمل الرجولة مواطنا ومحارباً ، وعليه أن يتزوج حينئذ .

أما البنات فقد عهدت تربيتهن الى الامهات ، وكن يخرجن حافيات لا يستتر أجسادهن الا ثوب واحد ، وخضعن أيضا لتدريبات رياضية وتدربن على المصارعة والسباحة والجري ورمى القرص والرمح . وكن يقسمن الى جماعات ، كما هو الحال بالنسبة للبنين .

ان نظرة عامة على التربية الاسبرطية تبين أنها استغلت الأفراد لخدمة الدولة كل الاستغلال ، فالفرد للدولة من ساعة مولده . وهو يعد ليكون حاميا ومدافعا عنها ، والبنات تعد جسميا وخلقيا لتكون زوجة تقدم للدولة محاربين أصحاء أشداء بل ان الرجل المسن كان يعير زوجته لغيره من الرجال حتى تنجب للدولة أطفالا أقوياء . وقد هيمنت الدولة تماما على التربية وحقت ما أرادت من أهداف خلق المواطنين القادرين على حمايتها وتحقيق مطامعها . أفراد أشداء لهم معاييرهم الخلقية التي نأسبت عصرهم ، متحمسون لوطنهم ومتعصبون له . ولكن عندما حلت باسبرطة الهزيمة تداعى هذا البنيان وطفنت موجات من الانحلال الخلقي والفوضى بعد فترة طويلة من النظام والجمود .

لقد ضحت الدولة فى اسبرطة بالفرد وفكرت الدولة للفرد ، وعندما جلبت الساعة التي تحتم فيها على الفرد أن يفكر لنفسه ، وجد نفسه عاجزا .

وفى محاولة لتقييم التربية الاسبرطية نجد أن الخضوع للقوانين خضوعا أعمى ساد حياة الاسبرطيين ، ودمغ هذه الحياة بجمود شديد .

وكان من نتيجة هذه التربية العسكرية التسلطية فى اسبرطة أن طبعت الأفراد بخصال كانت سببا فى فشلهم فيما بعد ، فقد عرف عن الاسبرطيين أنهم لم يتعودوا الاعتماد على النفس أو توجيهها ، كما أن قدرتهم فى التفكير أو التخيل كانت محدودة لأنهم لم يتعودوا مواجهة المشكلات ومحاولة حلها بتعقل وروية ، فلم يعط الاسبرطيون الفرصة لتحمل المسئوليات ، بل ان الدولة وجهتهم فى كل شئ ورسمت لهم طريق الحياة ولم يكن عليهم الا الانصياع للأوامر والبعد عن النواهي (١) وقد أدت هذه التربية الى جذب وقحط فى التراث الفكرى وانهيار الحرية الرأى وعدم قدرة للاسبرطيين على تكييف أنفسهم تبعا لتغير الظروف .

(١) فتحة سليمان ، المرجع الأسبق ، ص ٢٥ .

آئينا :

ولعل أهم ما كانت تهدف اليه التربية الآئينية بمقارنتها لشقيقتها المحاربة أسبرطة أن يسير الفرد في حياته بالحكمة التي يغلفها العقل في أدائه ما يلقي عليه من واجبات . على أن الدولة الآئينية تطلبت من مواطنيها قوة الجسم والجرأة والاقدام في ساحة الوعى وما أكثر ساحاتها . ولكن آئينا لم تتبع ذلك الأسلوب العسكرى الاستبدادى الذى اتبعته أسبرطة ، فقد قدست آئينا الأسرة على أساس أنها ركيزة في نمو شخصية الطفل وتشكيلها ، وتطلبت من الأسرة العناية بالطفل ، حتى ان مشرع آئينا الأعظم (سولون) أعفى الابن من مساعدة أبيه اذا قصر هذا في تربيته عندما كان طفلا . وقد اهتمت آئينا ، على عكس أسبرطة ، بتعليم الموسيقى الى جانب التربية البدنية ، على أن المدارس كانت خاصة يملكها افراد ، ولكنها تحت اشراف الدولة التى أشرفت أيضا على تربية الأطفال في منازلهم .

وتكون المجتمع الآئينى من المواطنين والأجانب والعبيد . وقدر عدد السكان فى القرن الرابع قبل الميلاد بواحد وعشرين ألف مواطن ، وعشرة آلاف أجنبى . أما عدد العبيد فوصل الى ٤٠٠.٠٠٠ عبد ، أى حوالى عشرين عبدا لكل مواطن حر^(١) ولم تكن للعبيد حقوق مدنية ، ولكن كانت هناك تشريعات لحمايتهم من عبث الأحرار واضطهادهم . أما الأجانب فلم يكن لهم الحق فى الاشتراك فى حكومة الدولة ولا تملك ارض ، وللاجنبى أن يعمل بالتجارة على أن يدفع ضريبة سنوية ، وقد يخدم أحيانا فى الجيش أو البحرية . وعمل العبيد فى أعمال يدوية ، مما أضفى على هذه الأعمال مهانة كانت تنير تفرز السادة الأحرار الذين استمتعوا بوقت فراغ اتاح لهم الاهتمام بواجباتهم كمواطنين ، ومنها حضورهم ساحات المحاكم والجمعيات العمومية والخوض فى سير الناس ممن يهمهم التحدث عنهم ، ونقدهم والتشهير بهم اذا لزم الأمر .

وذهب الأطفال الى مدارس أدارها أفراد منذ الصباح الباكر ويستمرون بها حتى تغيب الشمس ، وقد بدأ الاشراف الحكومى على المدارس منذ تشريعات سولون عام ٥٩٤ ق م . فقد أصر سولون على ضرورة تعلم كل طفل مهنة ، كما حدد ساعات الدرس ، وكذا الشروط الواجب توافرها فيمن

يقوم بمهنة التربية ومنه • وكمن التلاميذ يستوعبهم اشراف المربي الواحد • وكان سولون هو الذى أدخل دراسة (هومر) فى المدارس •

هدفت التربية الآثينية الى تكوين تناسق بين روح مرهفة تحس بالجمال وتقدر الأدب ، وجسم رشيق قوى ، هدفت الى تكوين الرجل الكامل جسما وعقلا وخلقا •• الجندى الذى يذود عن الوطن ، والمواطن القادر على الاسهام فى ثقافة بلده بتتبع كل جميل فى وقت السلم • وكانت تربية لاستخدام وقت الفراغ فى نمو متزن للفرد ، واستخدم مثير لامكانياته الجسمية والعقلية والروحية • وعلى الوالدين فى بواكير انطفولة مسئولية كبيرة فى هذه التربية فيسمعان الطفل قصصا وأساطير ويدللانه ، حتى اذا كبر بدأ الطفل يعرف الشدة ، والضرب بالنعال والعصى ••• ولكن لا يفتقد العطف والحب منهما •

ويذهب الطفل الى المدرسة حوالى السابعة من عمره • ويقسم اليوم المدرسى بين البانيسترا Palaestra أو حلقة المصارعة والديدسكاليون Didaskaleion أو مدرسة الموسيقى ، وفى البانيسترا يدرّب التلاميذ على كل التمرينات الرياضية كرمى القرص والرمح والمصارعة والجري والرقص والسباحة وتدليك الجسم بالزيوت ليحتفظ برشاقتة ، أما مدرسة الموسيقى فقد عنى بها أيام الاغريق فى دراسة الأدب والتربية الخلقية ، وفى المدرسة يتعلم التلاميذ القراءة والكتابة والحساب الى جانب الأغاني الوطنية والشعر •

وكان يرافق التلميذ فى ذهابه الى المدرسة عبد مسن اضطرته شيخوخته الى عجز عن أعمال تحتاج الى مجهود فعهدوا به الى التلميذ يصحبه فى غدوه ورواحه من المدرسة • وكان هذا البيداجوج Paedagogue يقوم بتقويم أخلاق التلميذ ويراقب سلوكه وعاداته فى الحديث والمشى والمجلس والمآكل ومعاملة الناس •

أما المربون فى المدرسة فكانوا يأخذون معاشهم مما يدفعه التلاميذ ، وقد يستطيع مرب بما يجمعه أن يجمع التلاميذ فى فصل دراسى ، أما غيره فكان يعقد حصصه فى الهواء الطلق ••• فى ظل معبد أو فى أحضان تمريشة وارفة الظلال ••• أو فى مكان هادئ على قارعة طريق لا يطرقة كثير من المارة •

وقد اتبع الاغريق فى تدريس القراءة ، الطريقة التركيبية ، فيتعلم

التلاميذ حروف انهجاء أولا ثم يكونون منها مقاطع ثم كلمات . ثم يبدأ التلاميذ الكتابة على الرمل ، ثم على الشمع ثم على جلد رقيق مستخدمين قلمًا من الغاب وحبرا مصنوعا من الصمغ والصناج ، كما كان يفعل قدماء المصريين ، ولكن هؤلاء استخدموا ورق البردى كما استخدموا لوحة العدد في تعلمهم مبادئ الحساب ، وكانت الحروف هي المستخدمة بدلا من الأعداد ، كما استخدمت الأصابع في عمليات العد داخل المدرسة وخارجها حيث يوضع أصبعان متجاوران للدلالة على رقم معين . ودرس التلاميذ بعض المعلومات الجغرافية من دراستهم لليادة هومر . أما الشعر فكان يستظهر ويسمع بمصاحبة الموسيقى .

وحوالى سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة كان الشباب الآثيني ينتقل من الباليسترا الى الجمنازيوم العام بعد أن يتم المدرسة الابتدائية وكانت ثمانى أو تسع سنوات . وكان أبناء غير ميسورى الحال يتوقفون عند التعليم الابتدائى ثم يتجهون الى بعض الصناعات للتكسب . وقد عرفت ساحتان عامتان هما الأكاديمية والليسيه Leceum وخلصنا لارتباطهما بكل من أفلاطون وأرسطو على الترتيب وفى هذه الساحات اتخذت التمرينات الرياضية طابعا قاسيا اذا قورنت بالباليسترا . وكانت الدولة تملك هذه الساحات ، ويعمل فيها موظفون رسميون ومهمتهم اعداد الشباب لتطلبات الدولة .

وفى حوالى سن الثامنة عشرة ولمدة سنتين ، يقسم الآثينى يمين الولاء لدولته ، ويتمرن على فنون الحرب ومعيشة الجندية ، وغالبا ما تكون فى حراسة الحدود ، ويتمرن على استخدام الأسلحة (الثقيلة) كالدرع والقواء الرماح ، وفنون التكتيك العنيفة ، وكان يطلق عليه فى هذه الفترة اسم Ephepe أى الشباب ، وبعد انتهاء السنتين يتقدم الى « الجمعية العامة » ويتقبل من الدولة رمحا ودرعا ويصبح مواطنا . ثم يقسم أمام المواطنين كبار السن أن يكون مخلصا للقوانين وللعرف ، ألا يهجر دولته وأن يظل على الدوام مستعدا للذود عن حياض وطنه ، وأن يعمل على تنميته بثقيف نفسه وبالنجاح فى أعماله الخاصة ، وقد كانت أمام الآثينى الحر الفرص لاستمرار ثقافته فى النحت والتصوير والفن المعمارى والدراما .

وجلس الآثينيون فى ظلال الأشجار يتجادلون ويتناقشون فى كل ما يهم دولتهم وطرقوا أبواب الأدب والفن والحكومة والسياسة والفلسفة ، وكانت هذه الجلسات الظليلة ، والمناقشات المتعة فاتحة التفكير الذى نما وتطور .

ومن خلاله عرفنا وعرف العالم أجمع مفكرين عظاما مثل السوفسطائيين وسقراط وأفلاطون تركوا للفكر التربوي أشهر الثمرات مما منوضحه فيما يلي .

السوفسطائيون وسقراط :

اهتم الاغريق في القرن الخامس قبل الميلاد بمشاكلهم التربوية ، فقد بدأ بعض المفكرين يفحصون طرائق الحياة والنظم الاجتماعية التي عاشها الاغريق قرونا طويلة ، ولاح لهم أن ثمة تغيرات قميئة بالحدوث ، خاصة بعد الحروب التي خاضوها والانتعاش الاقتصادي الذي قاض عليهم ، وكان لابد اذن من تعديلات اجتماعية ، فلنظام الموجود وقتئذ أصبح لا يناسب ما طرأ على المجتمع من تغيرات وتطلعوها الى التربية ، ونظامها ، كيف يتعلم الاحداث ؟ وماذا يتعلمون ؟ ان العادات والتقاليد القديمة أصبحت غير مناسبة ، كما ان الاتجاهات الجديدة لا ترضى جميع المواطنين ، كان هذا هو الموقف الذي مهد الطريق للفلسفة لتقول رأياها .

وكان السفسطائيون هم أول من تصدوا لمشكلات النظرية التربوية التي تمخضت عن القلق الاجتماعي ، وكانوا من أشد المهاجمين للنظم التي ارتمت في أحضان التقاليد ، وكان سلاحهم التفكير في اطار من احتياجات الأفراد الذين ذهبوا اليهم طالبين العلم والمعرفة . وقالوا : ان الانسان هو مقياس الأشياء . ناروا على التقاليد القديمة التي كانت هي مقياس الأشياء ، ودفع لهم طلاب العلم ثمن ما يتعلمونه ، غير أن ما يؤخذ على السفسطائيين أنهم كانوا يدافعون عن وجهة نظر تتناسب مع من يدفع لهم ، فقد يؤيدون رأيا في وقت ، ويؤيدون نقيضه في وقت آخر .

وقد جذبت طريفة السفسطائيين الشباب المتحمس ، وأغضبت المحافظين وكبار السن ، وقد احتقرهم البعض لأنهم اتخذوا من العلم سعة يبيعونها ، وخافهم الكثيرون لما في آرائهم من نورة على القديم والمتعارف عليه ، ومع ذلك فقد هرع اليهم الشباب لما اتسمت به آراؤهم من حرية وانطلاق ، ولما أضفوه على الفرد من تمجيد واعزاز ، فقد عملوا على تحرير العقل من الجهالة والروح من الخوف والجسم من الوهن ، لقد عملوا على نمو الانسان ككل ، ونسب اليهم المناصرون أنهم كانوا دعاة الحرية للبشرية (١) .

وكان السفسطائيون يعلمون الحساب والهندسة والفلك والتاريخ الطبيعي والنحو والبيان والتاريخ والأساطير والمنطق والسياسة والأخلاق وفقه الدين والرسم والموسيقى والتكتيك الحربى ، ولكنهم ركزوا على البيان ، أما بعية المواد وغيرها فكانت تهدف الى مد المتكلم بحصيلة من المعلومات تفيد في مناقشاته ، ولم يعلم السفسطائيون المنطق حرصا على معرفة الصديق والحق ، ولكن للفوز في مناظرة أو مناقشة كلامية ، وهذا ما سمي بالسفسطة ، وكانوا ينكرون وجود الموجود أو الحقيقة الموضوعية ، ويؤكدون أن الظواهر هي الأشياء الوحيدة الموجودة ، وأن رأى الفرد هو الصديق الوحيد .

وظهر الصراع بين المحافظين وآرائهم وبين السفسطائيين وآرائهم . صراع بين ارسطراطية وديمقراطية ، وقد أولى سقراط (٤٦٩ - ٣٩٩) (١) هذا الصراع اهتمامه الكبير ، وهو أعظم مفكرى آثينا في القرن الخامس ، وقد نشأ سقراط نشأة متواضعة ، فكان متجها بحكم نشأته ناحية الديمقراطية ، وقد رأى سقراط الحاجة الى تربية من نوع ممتاز . تربية انسانية متجهة الى الانسان ويكون موضوعها الرئيسى الجوهر الروحي للانسان ، ولكنه لم يقصد من هذا ما قصده السفسطائيون بقولهم ان الانسان مقياس كل شيء ، ولكنه قصد الى القول بوجود أن تكون المعرفة مستقلة ، أى أن عقل الانسان يجب أن يبحث فى الأشياء باستقلال وحرية كاملة ، وأن يحكم فى كل ما هو موروث . فلا قيمة للأفكار أو العقائد من حيث هي قديمة أو حديثة ، ولكن تتأتى قيمتها من حيث أنها تعبر تعبيرا صحيحا عن حقيقة الأشياء (٢) .

أما عن منهج سقراط الفلسفى فكان يبدأ بادراك الانسان لنفسه ، أى يبدأ البحث بادراك الانسان لذاته لكي يعلم الفرد هل لديه علم صحيح أو أن ما عنده ان هو الا علم مشوه ، أو انه جاهل تماما ، وكان سقراط يعمل على أن يثبت لمتحدثيه أنهم جهلة ، ومن الجهل تتكون النقطة الأولى للبحث الفلسفى . ومن الركائز التى تركز عليها قوة سقراط أنه فى محاولته للبحث عن الحقيقة ، حاور غيره ممن ادعوا العلم ، وباستخدام طريقته اكتشف أنهم لا يعلمون ، ولكنهم يدعون العلم ، أما هو فيعلم انه جاهل ، وهو يعلم بأنه لا يعلم ، وهذا علم صحيح .

(١) تحديد سنة مولد سقراط فيها افعال كثيرة ، وان كان يظلب أنه ولد عام ٤٦٩ ق.م.

(٢) عبد الرحمن بدوى : أفلاطون ، ص ٢٨ .

ويبدأ سقراط خطوة ثانية وهي التوليد - وكان سقراط يقول في هذا المعنى انه يحترف صناعة أمه ، وكانت قابلة ، الا أنه يولد نفوس الرجال - فيسأل من يحاوره عما يعرف في مسألة من المسائل ، ويرد المحاور في ثقة واعتداد . ثم يبدأ سقراط أسئلة كان قد أعدها بحيث يختلط الأمر على محاوره فيناقض نفسه ، وكان سقراط يستعمل دائما طريقة تأكيد البرهان عن طريق نفى العكس ، فسقراط حين كان يبحث في تعريف مسألة من المسائل ، يأتي بكل الأشياء التي تضاد هذا التعريف ، في الظاهر على الأقل . فمثلا اذا سأل أوتيديموس ما الظلم ؟ يجيب أوتيديموس بأن الظلم هو أن يكذب الانسان وأن يخدع وأن ينهب . الخ فيقول له : ولكن هل يعد ظلما أن يكذب الانسان على عدوه أو يخونه ، أو ينهبه ؟ حينئذ لابد من تصحيح التعريف الأول ، وهذا التصحيح يتم بأن يقول أوتيديموس ، ان الظلم أن يفعل الانسان هذه الأشياء ضد أصدقائه ، وهناك يجب سقراط بأن ذلك لا يتم في كل الأحوال : فهلا يعد الكذب فضيلة حينما يكون باعنا على الشجاعة أو حائنا على طلب العلم ، أو مانعا صديقا من أن يستخدم سلاحا لانتحاره ؟ حينئذ يجيب أوتيديموس بأن الظلم اذن أن يرتكب الانسان هذه الأشياء ضد أصدقائه أيضا حينما يريد الاضرار بهم ، وهكذا يستمر الحوار (١) .

وكان سقراط يحاول دائما الاستفادة من الآخرين ، وأن يساعد الانسان للوصول الى تعريف الشيء تعريفا صحيحا ، وكان سقراط يتعلم بينما هو يعلم عن طريق الحوار .

وكان سقراط يستعين بالاستقراء ويتدرج من الجزئيات الى المعاني أو الأحكام العامة . كما أن سقراط آمن بأن الادراك الحسى هو أساس المعلومات جميعا ، ولأن هذا الادراك يختلف باختلاف الافراد ، فان المعلومات التي تجيء عن طريقه مختلفة ، فنحن لا نعرف عن الحقيقة الا الصور المختلفة التي تقدمها لنا الحواس ، ولذلك اتجه سقراط الى بناء تحصيل المعرفة على العقل لا على الحواس معارضا بذلك آراء السفسطائيين .

ويرى سقراط أن العقل عام مشترك عند جميع الناس وما دام للعقل أداة المعرفة ، فالحقائق الخارجية ثابتة لأن الناس جميعا يرونها بمنظار واحد ، هو العقل الذي يختلف ادراكه في شخص عن آخر .

وكان رأى سقراط هذا هو الأساس الذى نشأت عليه كل المذاهب العقلية المثالية Idealism (١) *

ويذكر أن سقراط انصرف عن البحث فيما يتصل بالطبيعة والآلهة مؤثرا أن يدرس الانسان نفسه أولا ، ثم يدرس الشيء المتصل بالانسان ، وكان يرى أن عقل الانسان لا يستطيع أن يصل الى البحث فى الطبيعة والالهيات *

ورأى سقراط أن الانسان لا يمكنه أن يعمل الخير الا اذا عرف ماهية الخير ، أى عرف الادراك العقلى لتخير ، فالعمل الأخلاقى مؤسس على المعرفة ، ويجب أن يصدر عنها ... بل ان الفضيلة والعلم شيء واحد فيستحيل أن تعرف الخير معرفة صحيحة ولا تعمله ، كما يستحيل أن تعمل الخير ولا تعرفه ، فيكفى فى نظر سقراط أن يعلم الانسان ما الفضيلة حتى يكون بمنجاة من فعل الرذيلة ، وكل عمل شر انما يصدر عن الجهل بالفضيلة ، لأن الانسان لا يسعفه اذا عرف الخير أن يفعل شرا (٢) *

وانتهت حياة سقراط بمحاكمته ، فقد اتهم بانكاره آلهة اليونان ، وكذا بدعوته لآلهة جديدة ، كما اتهم بافساد الشباب الذى سحرته آراؤه فالتفوا حوله وزاد أعداء سقراط لأنه هاجم الديمقراطية منكرا انتخاب الزراع والصناع لمناصب الدولة ، كما أغضب الارستقراطيين لما يبدونه من استبداد وظلم ووقف سقراط أمام قضاة ودافع عن نفسه مشفقا على القضاة أنفسهم من موقفهم المخزى ومتألما لما صارت اليه الأمور من فساد ، وحكم عليه بالموت وسجن ثلاثين يوما ومات بأن أمر بنناول كأس من السم *

أفلاطون (٣)

نظرية أفلاطون فى التربية :

تستند نظرية أفلاطون التربوية على أصول مستمدة من علم النفس والفلسفة والاجتماع يمكن اجمالها فيما يأتى :

(١) أحمد أمين ، ركنى نجيب محمود : قصة الفلسفة اليونانية . ص ٢١ - ١٢٦ *

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٧ *

(٣) ولد بين سنتي ٤٢٩ - ٤٢٧ ق.م *

الفرد :

استنتج أفلاطون من ملاحظاته أن النفس تتكون من ثلاثة أنواع من القوى أو القدرات أو الملكات ، قوة العقل « التفكير » وموضعها الدماغ ، والغضب وموضعها الصدر ، والشهوة ، وموضعها البطن . والعقل هو هذا القسم من النفس الذى يمدنا بالقدرة على اكتشاف الحق والباطل ، وعلى اثبات أى الأقوال حق وأيها باطل ، والتفكير هو الدافع والمؤدى لكل معرفة .

والقوة الغضبية عند أفلاطون هى الإرادة كما نطلق عليها اليوم أما هذا الجزء من النفس وهو الشهوة فهو مرتبط بالوظائف الجسمية .

وأهم أنواع المعرفة التى يؤدى إليها نشاط العقل هو الحكمة ، هو معرفة طبيعة الخير والطرائق السليمة للحياة الصالحة للمجتمع والفرد . ولكن لا يستطيع العقل وحده التحكم فى الفعل البشرى . فقد نعرف ما يجب عمله ومع ذلك لا نسلكه .

ويأتى التوجيه بطريق غير مباشر من العقل والتفكير . ويأتى مباشرة من القلب مركز القوة الغضبية ، فالحكمة التى يكتشفها العقل تعمل على تحقيق الشهوات الضرورية وغير الضرورية ، والإرادة هى القوة التى تنفذ ما تقوله الحكمة ، ومع أن كل نفس بشرية فيها القوى الثلاث ، إلا أن الأفراد يختلفون ، فبعض الأفراد قادرون على التفكير أحسن من غيرهم ، ولذا فلديهم المعرفة والحكمة ، وقدرة البعض على التفكير أقل ، ولكن قدرتهم على العمل أكثر ، وهؤلاء يستطيعون بالقوة الغضبية « الإرادة » أن يسيطروا على الشهوات . والنوع الثالث من الناس تفكيرهم قليل وقلوبهم ضعيفة ، وتظهر شهواتهم مسيطرة . ولا يستطيعون كبح جماحها إلا بقوة من الخارج ، قوة أساسها الحكمة التى يفتقدها هؤلاء ، أو قوة أساسها السلطة المادية الرادعة .

وباختلاف الأفراد فى القوى ، يختلفون أيضا فى المهن التى يصلحون لها . فحيث يكون للعقل الغلبة فصاحبه يصلح للمهن التى تتطلب الدرس والتحصيل والتفكير ، وحيث تغلب الإرادة ، فالمهن التى تصلح لها هى ما تتطلب أعمالا بالقوة كالحرب والشرطة . أما حيث تسود الشهوات فخير ما يصلح لها هو التجارة والانتاج حيث الربح وحيث تتحقق اللذات الشخصية .

وتوزع قوى النفس بين الرجال والنساء ، ولا يؤثر الجنس فى فاعلية

هذه القوى ، ومعنى ذلك - فى رأى أفلاطون - أن المرأة تستطيع شغل مناصب الحكم والمسائل الاقتصادية والحربية ، واقفة على قدم المساواة مع الرجل ، ويؤكد أفلاطون ضرورة إتاحة الفرصة لكل فرد ليعمل حسب إمكانياته وقدراته حتى يتمكن من حسن استغلالها ، وعلى المجتمع أن يهيئ لكل فرد الفرص لاستغلال إمكانياته (١) .

المجتمع :

رأى أفلاطون أن وظيفة المجتمع اقتصادية وحربية وتشريعية لسلامة الحكم ، ووجد مثالا لهذا المجتمع فى مدينة الدولة الاغريقية ، وكانت مدينة الدولة - ويسمىها البعض المدينة الحرة - محدودة المساحة ، وتشمل مدينة تحوطها بعض القرى الصغيرة ، وهى تمون نفسها اقتصاديا بقدر المستطاع ، وتتاجر خارجيا مع مدن أخرى ، ويظهر أن أفلاطون لم يفكر فى دول كما نعهد اليوم من حيث المساحة وعدد السكان وتشابك العلاقات الخارجية .

ولكى تنجح وظائف المجتمع يجب أن يستشعر كل فرد السعادة فى عمله ، ولن يتأتى هذا الا باتقانه هذا العمل ، فالصانع مثلا عليهم أن يجيدوا صناعاتهم وحرفهم حتى يقبل الناس على شراؤها وبذلك يقتنون المال الذى يرضى شهواتهم ، وكذلك الأمر بالنسبة للشرطة والجيش ، فعلى كل عامل بهما أن يعتز بعمله ويسعد ويقبل عليه حتى يتحقق للدولة النصر الخارجى والأمن والنظام فى الداخل ، والا دبت الفوضى أو خضعت المدينة لسيطرة مدينة دولة أخرى وبذلك يتحطم مجتمعها ، وعلى الجيش والشرطة العمل حسب قوانين الحكومة التى يتولاها الحكام ، وعلى هؤلاء أن يتمتعوا بالعقل والحكمة حتى تكون أوامرهم رشيدة متزنة ، ومحقة خير المجتمع .

وبهذا يوجد فى المجتمع ، العمال والصناع والمزارعون والتجار مكونين طبقة اجتماعية تعمل على خدمة الاحتياجات الاقتصادية للمجتمع ، ثم طبقة الجند والشرطة وعليها حماية المدينة من الداخل والخارج ، ثم طبقة الحكام الذين يهيمنون على المدينة عاملين على خيرها وموجهين الطبقتين الأخرين .

الميتافيزيقا :

فى مواطن كثيرة بكتاب الجمهورية لأفلاطون قال : ان العالم الملاحظ متكون من عديد من الأشياء وكل شئ له خاصيته ومكانه ويمتد منتشرا فى زمان معين ، وكل شئ فى تغير مستمر فى صفاته وعلاقاته أو يتحرك من مكان لآخر ، وكل شئ ينتمى الى طبقة طبيعية . فالشجرة التى نراها واحدة من هذه الأشياء فنحن ندركها بحواسنا ، وهى متميزة عما حولها . وهى متغيرة (سقوط الاوراق ، النمو ، التمار ٠٠ الخ) ، وهى تنتمى الى مجموعة من النباتات . على أن كل شجرة يمكن أن تميز عن غيرها من نفس المجموعة ، ومع ذلك فيقول أفلاطون : ان كل الشجر يشترك (داخل مجموعة واحدة من الشجر) فى صفات عامة . فاذا اختلفت نخلة عن بقية النخيل فان لكل النخيل صفات مشتركة أو جوهرها واحدا يمكن أن نطلق عليه اسم (المثال) ، وكما أن هناك (مثالا) للنخيل فهناك (مثال لكل مجموعة من الأشياء .

وللمثال صفة العالمية والعمومية ، وتظهر فى مظاهر مختلفة وفى أمكنة متعددة وأزمان متباينة . و (المثال) خالد وليس متغير . فهناك أنواع كثيرة من النخيل فى مناطق مختلفة ، ولكن المثال واحد . و (المثال) يتصف بالكمال والمثالية ، وقد نجد شجرة نخيل فيها عيب وأخرى قصيرة وثالثة مفرطة فى طولها ورابعة ثمارها شبيهة ٠٠٠ الخ ولكن فى ذهن عالم النبات صورة لشجرة النخيل كما يجب أن تكون ، وعلى أساس هذه الصورة يصف نخلة بأنها سليمة وأخرى بأن عيبا فيها .

و (المثل) يرتبط بعضها ببعض الآخر فى نظام ، وعندما يبلغ العلم ذروته سوف تنتظم كل الأشياء فى نظام كامل ، وعلى قدر معرفة الانسان فقد انتظمت (مثل) الأرقام فى علم اسمه الحساب ، وانتظمت (مثل) الحركة السماوية فى علم الفلك ، و (مثل) النغم فى الموسيقى .

وتقول نظرية أفلاطون الميتافيزيقية ان خلف كل شئ مدرك فى العالم نظاما من المثل يفسر ما فى هذا العالم ، وما ندركه بحواسنا فى هذا العالم صور لتلك (المثل) ، واننا فى هذا العالم نرى نسخا باهتة من هذه المثل . والمثل كائنة وموجودة حتى ولو فى هذا العالم .

ويظهر لنا تطبيق نظرية أفلاطون هذه فى مفهومه عن الانسان الذى يجب أن يتحلّى بقوة الفكر والارادة والشهوة . وكذلك الأمر بالنسبة للمجتمع الذى يتضمن الوظائف الاقتصادية والعسكرية والتشريعية ، ولهذا

فان المصلاقة بين المواطنين والدولة يجب ان تكون شبيهة بالعلاقات بين
(مثال) الانسان و (مثال) المجتمع .

الأخلاق :

وتظهر فلسفة أفلاطون فى الأخلاق منعكسة على التربية فى نظريته العامة عن طبيعة الخير . وهذه النظرية تعتمد على فكرته الميتافيزيقية ، فقد رأينا أنه يتحدث عن نظرية المثل وأن الموجودات المدركة صور أرضية من هذه المثل التى تتصف بالكمال والخلود ، ولذلك فانه يقول : إن الخير فى كل شيء مدرك يتوقف على الدرجة التى يقترب فيها هذا الشيء من صورته المثالية أو يعبر عنها ، ولناخذ مثلا النخلة ، فالخير فيها والجمال ليس سببه ما تضيفه علينا من ارتياح أو لذة ولا على أساس مقارنة النخلة بشجرة الجميز مثلا ، ولكن الخير والجمال فى النخلة هو مدى اقترابها من صورتها المثالية .

وفى رأى أفلاطون ان المجتمع الخير هو المجتمع العادل . وبقدر اقتراب المجتمع بوظائفه الثلاث والانسان بقواه الثلاث من المثالية الموجودة فى عالم المثل ، يمكن ان يتحقق العدل بدرجة تتناسب مع درجة الاقتراب المثالية ، ولهذا فقد وجه أفلاطون نظامه التعليمى ليحقق بقدر المستطاع هذا العدل والحق .

المعرفة :

قال أفلاطون ، ان المعرفة حالة عقلية تتميز بالتأكد من طبيعة شيء ما . وهذا الشيء غير موجود فى عالم الواقع المتغير ، والتغير يجعل من المستحيل التأكد من طبيعته ولذلك فان الأشياء التى نعرفها بتأكد هى (المثل) فى علاقاتها المنتظمة .

وهناك درجتان فى التأكد من المعرفة : التأكد القائم على فرض ، والتأكد المطلق . فما نعرفه عن العلوم والرياضيات هو تأكد فرضى لأن تأكدنا من صدقها يعتمد على تأكدنا من صدق الفروض التى اشتقت منها . أما التأكد المطلق فهو مرتبط بوعينا بفكرة الخير . وهذا التأكد المطلق صعب المنال وهو يحول المعرفة الفرضية فى العلوم الى مطلقات .

التطبيقات التربوية :

تعرض أفلاطون فى كتابيه (الجمهورية) و (القوانين) الى مسائل متصلة بالتربية اتصالا وثيقا . ولعل أكثر أشكال الوجود البشرى قيمة فى

نظر أفلاطون هو التوافق بين الجمال والفضيلة عند الانسان ، فهو يؤكد ضرورة التفاعل بين الجسم والعقل كأساس للتربية ، ثم يوسع نطاق هذا التوافق الى أن يشمل التوافق بين الجماعات بل في العالم الميتافيزيقي . ويرى أفلاطون أن على الانسان أن يوفق بين غرائزه وارادته على هدى من مبادئ عالمية ، وأن يخضع سلوكه تلقائيا لفضائل أربع هي : الحكمة وكبح جماح الشهوات والشجاعة والعدل . وهذا هو المواطن المثالي لأنه يعرف كيف يحكم وإن يحكم بالحق .

وتؤسس الفلسفة الأفلاطونية في التربية على هذه الفضائل الأربع . ويؤكد أفلاطون أن الفضيلة تتطلب اقتناعات خلقية ونوايا طيبة وضميرا حيا وقدرة على العمل السليم . كما أن ارتباط الحق والمعرفة لازمان وضروريان . وفي رأى أفلاطون أن الكمال البشرى مستحيل ما لم يعرف الانسان كيف يحول نواياه الى واقع . ولذلك فإن بصيرة الانسان في طبيعة الحياة يجب أن تكون قوة دافعة في تربيته ، وقد منح الانسان وحده القدرة على الوصول الى الكمال والسمو بنفسه من خلال تبصره ومعرفته نفسه ومحاولته للحياة الطيبة ، وهو قادر على تخطي عتبات ذاته الضيقة ويخضع مختارا لقوانين عامة عادلة ، وهذا هو الانسان الحر الفاضل .

ويرى أفلاطون أن التربية هي عملية توجيه وجذب الأطفال الى الطريق الذي رسمته القوانين وأكدت عدالته خبرات ذوي العقول المفكرة المحنكة (١) .

ولهذا فإن أفلاطون في كتابيه « الجمهورية » و « القوانين » كان يتصور مدينة مثالية فمزج بين فنى السياسة والتربية ، لأنه وجد كليهما يهدف نحو تحقيق النظام الأسمى في الحياة . وقد حاول بعض الكتاب التربويين الحديثين تقسيم أفكار أفلاطون التربوية على هدى من التقسيمات الحاضرة ، أى المدرسة الابتدائية ثم الثانوية ثم العالية . ولكن مثل هذا التقسيم مآله الفشل لأنه من المبعث تفسير الماضى بعقلية الحاضر ، كما أن أفلاطون نفسه القى الأهمية الكبرى على روح العملية لا على شكلها التنظيمي .

أما عن نظام أفلاطون التربوى فيمكن إيجازه فيما يلى :

١ - من الميلاد الى سن السابعة عشرة : وتنقسم هذه المرحلة الى قسمين ويربى الأطفال على أيدي اخصائيين فى دور الحضانة العامة بعيدا عن

والوالدين ، وفي الحضانة يهتم المشرفون بالنمو الجسمي للأطفال مستغلين اللعب والرياضة في ذلك . وفي خلال القسم الثاني يتعلم الأطفال القراءة والكتابة ويتدربون على التنويع الموسيقي الذي يشمل الموسيقى واللغة والأدب بالمفهوم الحديث . وإلى جانب ذلك يتعلم الأطفال والعلماء العلوم والتمرينات البدنية وتخضع المناهج التي يدرسها المتعلمون لرقابة الدولة خضوعا كاملا في محتواها وشكلها .

على أن أفلاطون يحذر من الاسراف في تربية الأجسام على حساب الموسيقى أو الاسراف في ترقيق النفس بالموسيقى على حساب الجسم .

ويصر أفلاطون على أن تكون التربية في مراحلها الأولى أدنى إلى الجسد ، لأن هذه هي الوسيلة التي يتعرف بها الكبار على ميول الأطفال الطبيعية ، ثم إن أفلاطون يضيف الأخلاق إلى الرياضة البدنية والموسيقى (أي تربية الجسم والعقل) . فهو يؤمن بالتكامل بين أفراد المجتمع ، أي ما له من حقوق وما عليه من واجبات . ويلوح أن أفلاطون يقصد بالأخلاق هنا ما يطلق عليه في المصطلح الحديث ، العلاقات الإنسانية وطرائق التعامل . ويهتم أفلاطون بالأخلاق على أساس أنها سوف تكبح جماح الشهوات عند الإنسان وتدفعه إلى طريق الحق والخير فتقلل المشاجرات والمنازعات وبذلك لا تقوم ضرورة لقوات الشرطة لتتقضى بين الناس وتقيم العدل ، وتحول أموال الشرطة إلى أبواب أخرى تعود على المجتمع بالخير .

وتعتمد الأخلاق على ركيزة يراها أفلاطون حتمية أيضا وهي إيمان الناس بالله محدد ، لا بقوة عليا مهيمنة ، أي بدين يهديهم سواء السبيل ، فيه من أساليب الثواب ما يشجع على عمل الخير ، وفيه من أساليب العقاب ما يكفل نهى الضال عن غيه وشروره . وهذا الثواب والعقاب يعضده أفلاطون بحتمية خلود النفس حتى يطمئن المتيثب إلى أعماله ويخاف المذنب شر أفعاله .

٢ - وتبدأ هذه المرحلة من ١٧ أو ١٨ . وفيها يدرب الشباب تدريبات عسكرية وجسمية عنيفة ، وتستمر هذه الدراسة إلى سن العشرين ، وفي هذا السن يستبعد من الشباب من يثبت أنه غير قادر على مواصلة الدرس والتحصيل وهؤلاء ينتظمون في صفوف عامة الشعب الذين يكونون جماعات الزراع وأصحاب الحرف والمهن .

هؤلاء وهم غالبية ، يكونون قاعدة تترسب فيها جواهر غفيرة يخضعون لشهواتهم(١) .

٣ - وبعد امتحان قاس صارم يسمح للناجحين بدراسة تستمر عشر سنوات تربي فيها أجسامهم وعقولهم ونفوسهم ، يتعلمون الرياضيات والفلك ولكنهم لا يتعلمونها بقصد الكسب المادى أو العمل اليدوى ، وإنما للتمعن والتأمل المعنوى المجرد للعلوم البحتة ، فالقائد العسكري يتعلم الأرقام حتى يستطيع تنظيم جنوده فى وحدات متناسقة فعالة .

٤ - وفى سن الثلاثين يجرى امتحان صعب ، وينضم الراسبون فيه الى طبقة الشرطة والجند الذين يتولون الذود عن حياض الوطن داخليا وخارجيا . واعداد جيش وطنى قوى قصد به افلاطون أن يكون درعا للوقاية وقوة ارهابية للأعداد حتى لا يجسروا على تهديد الوطن ، فالجيش للدفاع لأن افلاطون كان يمقت الحرب والقتال .

أما الناجحون فهم يواصلون الدراسة ، رجالا ونساء ، فى الفلسفة لمدة خمس سنوات .

٥ - وتبدأ المرحلة الخامسة من سن ٣٥ - ٥٠ وفيها يعين الناجحون فى المرحلة الرابعة فى مناصب حكومية حيث يتدربون على الحكم الصالح وسياسة الدولة تدريبا عمليا فى خضم الواقع حتى سن الخمسين . وهذه هى السن التى يصلح فيه الدارس أن يكون ملكا فيلسوفا ، اذ كان من رأى افلاطون أن يقوم على حكم الناس الفلاسفة لقدرتهم على فهم ارادة الله على حقيقتها ، وهم القادرون وحدهم على تفهم الأسرار الالهية وتبين مشيئة الخالق بل هم أعدل الناس وأكثرهم قدرة على نشر العدالة وتطبيقها . والحكام الفلاسفة منزهون عن الشهوات الدنيوية التى يعرفها أفراد الطبقة الدنيا ، فهم لا يملكون ، ويتناولون طعامهم فى مقاصف ولا يسكنون القصور وإنما يبيتون فى قاعات مشتركة . وجل تفكيرهم موجه لاسعاد مواطنيهم والعمل على راحتهم بنشر الخير والعدالة بينهم .



ينظر بعض المفكرين لآراء أفلاطون التربوية على أنها أفكار خيالية تقصد عالما مثاليا كالمدينة المثالية التي كان أفلاطون يحلم بها . ولكن أحدا لا ينكر مدى ما لفلسفته من اشعاع غمرت به البشرية حيث أفادتها بخيرها وعدالتها وجمالها . ويشبه البعض أثر أفلاطون بالظل الذي يلجأ اليه العابر في يوم قائف ويجلس الى جدار مبنى كنيسة ، ثم يحتفى من البرد بهذا المبنى ويجد في داخله من الجمال والقدسية ما يريح نفسه ، ولكنه قد لا يسأل عن اسم الذى بنى هذه الكنيسة وأبدع بناءها اذ يختفى اسم صانع هذا المبنى وراء سحب التاريخ .

واثر افكار أفلاطون على التربية كما نعهدها فى المدارس اثر قليل . ومع ذلك فقد تأثرت مدارس الأديرة المسيحية وجامعات العصور الوسطى بآرائه . ويلوح أن القلة هى التى فهمت عمق نوايا أفلاطون ، فرأى الغالبية أن مبادئه التربوية غير عملية ولا تصلح للمربى . ومع ذلك فهناك اعجاب بآرائه عن تعليم النساء ، وبمزجه بين التربيتين الرياضية للجسم والموسيقية للروح ، وباعتقاده أن التربية عملية مستمرة فيها جانب على واقعى ، وبفهمه عن الفيلسوف الحق .

ويجد المربون صعوبة أو حتى استحالة فى تنفيذ آراء أفلاطون التى حفلت بالمثاليات (اليوتوبيا) ، ومن المحتمل أنه هو نفسه كان يبتسم أحيانا للصورة المشرقة المتفائلة والخيالية التى كان يحلم بها ، ومع ذلك فكان ثمة أمل يراوده كما راود منك صقلية الشاب ديونيسيوس الذى أرسل اليه ليجعل منه ملكا فيلسوف ، غير أنه ضاق ذرعا بأفلاطون وفلسفته وتعاليمه وكاد يبطش به لولا أن هرب .

ولقد أعطى أفلاطون البشرية أملا وتفاؤلا ، تسعى اليه فى كل جيل عبر التاريخ لتحقيق شيئا منه . . ولو قليلا .

محاولة لتقييم التربية الاغريقية

من عل نرى أن التربية الآثينية - والمجتمع الآثيني والثقافة الآثينية التى أسست عليها تلك التربية - لم تكن ديمقراطية ، اذا قصدنا بديمقراطية التربية تكافؤ الفرص التعليمية للجميع . فلم ينظر الآثينيون ، وجيرانهم الاسبرطيون ومن قبلهم الهنود البراهمة ، ومن بعدهم الرومان وأوربا العصور الوسطى ، لم ينظروا الى التربية على أنها حق لكل الناس ، لكل

أفراد الشعب ، حق كاشعة الشمس والهواء • كانت التربية حقًا استمتاعيا وزينة للمواطن الآثيني الذكر الحر • أما العبيد وغير الآثينيين والنساء فليس لهم ذلك الحق • وإن سمح للنساء بتدريب على الشئون المنزلية والنسوية مع عناية بالجوانب الخلقية ، كما سمح لبعض أطفال غير الاغريق بدخول المدارس مع أطفال الاغريق ، فقد حجب حق التعليم كلية على الهيلوت وهم العبيد •

قامت التربية الآثينية على أساس (الديمقراطية الارستوقراطية) • كانت ارستوقراطية لأنها امتياز لمجموعة قليلة العدد من سكان آثينا ، وديموقراطية لأنها - في نطاق هذه المجموعة من المواطنين الذكور الأحرار - ضمت كل أفراد هذه الجماعة المميزة • وإذا قبلنا هذا الوصف وهو ديموقراطية داخل نطاق جماعة معيزة في المجتمع ، فلا يجب أن يغيب عن بالنا أنها ديموقراطية - في مفهومنا الحديث - لا يجوز ولا يجب الاعتراف بها •

ويرى لوري^(١) أن الدراسة غير المنحازة تكشف عن بناء اجتماعي وثقافي عند بعض الشعوب الشرقية أرقى مما كان موجودا في أسبرطة وآثينا • ويرى أن الاغريق مدينون للشرق بالكثير • فإن مصر أمدتها بالأسس العلمية وافكارها ، كما أن الفينيقيين كان لهم الفضل فيما لدى الاغريق من أدوات التعليم كالحروف الهجائية ، كما أن الثقافة الهندية - الفارسية صدرت للاغريق المفاهيم الدينية •

ونرى في التربية الاغريقية وخاصة الآثينية منها اهتماما بما يطلق عليه اليوم « الشخصية المتكاملة » ، فالكثير يقال عن اهتمام آثينا بالفردية ، واهتمام التربية بالموسيقى للروح والرياضة للبدن • ومع هذا فإننا لا نستطيع الا أن نتساءل عن معنى أن يقتصر ما يسمى بالفنون العقلية الحرة وتعليمها على المواطنين الأحرار ، وكانوا قلة ، أما الجوانب المهنية كالزراعة والحرفية وغيرها فكانت من نصيب غير الأحرار المواطنين • تربية عقلية للأحرار ومهنية للعبيد ••• وقد صار امتحان التربية المهنية اذ ارتبطت منذ أيام الاغريق بما يتعلمه العبيد وهم أدنى مكانة من السادة الأحرار الذين

Laurie. S.S. : Historical Survey of pre-Cristian Education, p. 18.

(١)

وانظر كذلك

Willmana, Otto. The Science of Education, trans Felix M. Kilsh, pp. 18-19.

درسوا الفلسفة والشعر والموسيقى . لكن أحدا منهم لم يمتحن حرفة الموسيقى ولم يدرسها لعائد من وراثتها أو مكسب يجنيه منها . فالكسب المادى شيمة للعبيد والاستمتاع هى صفة السادة الأحرار . وقد ساد هذا المفهوم قرونا طويلة مما حمل معه طبقة زائفة قوامها التعلم للزينة والمباهاة كما فعل أبناء الأرستوقراطية فى مجتمعات حديثة ، أما التعلم لكسب العيش فهذا أمر لم يقره أفراد من طبقة النبلاء والإشراف .

وإذا كانت روما قد غزت بجيوشها أرض الإغريق ، فقد غزت الثقافة الإغريقية روما وإمبراطوريتها . ويطلق المهتمون بتاريخ التربية تعبيرا « التربية الهيلينية » على سيادة الثقافة الإغريقية فى فترة سادت فيها ربوع الشرق الأوسط وامتدت شرقا الى الهند وغربا مغطية الإمبراطورية الرومانية . وقد بدأت هذه الفترة قبل غزو الرومان بلاد الإغريق وانتهت عام ٥٢٩ ميلادية . وعندما أغلق الإمبراطور جستنيان أكاديميات أثينا ووضع التربية المسيحية تحت الإشراف المباشر للكنيسة . فى خلال هذه الفترة الطويلة صار للثقافة الإغريقية صدى عالمى ، بل إنها ازدهرت بما قدمته الفلسفات من الاسكندرية وسوريا وفارس والهند .

وقد شاع النور العلمى والفلسفى فأضاء مدنا كثيرة وما فيها من مراكز للعلم ، منها الاسكندرية ونيسابور وأنطاكية وطرسوس ورودس . . . وغيرها مما يحق معه القول ان الشرق الأوسط تفجر بالأعمال الثقافية والبحث العلمى والتفكير الفلسفى . ولم يعد التفكير الخلاق والبحث المثمر قاصرين على مركز واحد ، ولم يعد هذا أو ذاك احتكارا لشعب معين أو مدينة معينة ، بل صار تزاورا وانتقالا للدراسة بين مراكز المعرفة .

ان الغريب فى الأمر . . . وقد لا يكون غريبا . . . أن السادة الأحرار ما كانت حياتهم تقوم لولا ما أنتجه غير الأحرار من عملهم بأيديهم . وقد لا نشك لحظة أنه لو لم تنفذ البطون لما استطاعت العقول القيام بوظائفها ، فبدون الغذاء تتوقف الحياة . العقول تعمل فى أجسام حية .

على أننا - للانصاف - نقول ان فكرة الآثينيين الأحرار كانت تقوم على ان للتربية تأثيرها المحرر على العقل البشرى ، وأن التربية هى هدف فى ذاتها بما تنتجه من نمو داخلى ويقظة وإدراك ورؤية وبصيرة . . . أو كما قال

ديموقريطس « التعليم والطبيعة شيئان متشابهان ، لأن التعليم يغير الإنسان . ومن خلال هذا التغير يكتسب الإنسان طبيعة ثانية » (١) .

ثم اليس رائعا ما قاله سقراط مشيرا في براعة وحصافة الى أن الأخلاق هي أسمى وأعلى وأجل هدف للتربية ؟ ثم ما قاله رابطا بين الفضيلة والمعرفة : هما قرينان متلازمان ، ويجب أن تؤدي المعرفة الى الفضيلة ، وألا ما كانت معرفة ، تم اقتران الحمق بالجهل .

(١) ويلمان : لمرجع السابق ، ص ١٣٧ .